بسم الله الرحمن الرحيم. رب تمم يا كريم

الحمد لله الذي يقوم انصافاً وعدلاً. الكريم العظيم إنعاماً وفضلاً. الذي أرشد
إلى العدل ابتداءً في دار الدنيا بما أودع آياته. وانتهاءً في دار الآخرة بإحضار
بيناته لم يكتف هنالك بعلمه الحق وعلمه بجميع غيبه عن إحضار كتبه وموازينه
وشهوده بل لم يكتف وكفى به شهيداً بالعدل شهود عن شهادة الأيدي
والأرجل والجلود كما لم يكتف في دار التكليف بما فطر خلقه من نور العقول
حتى عضد ذلك النور بنور الكتاب ونور الرسول فكان ذلك نوراً على
نور كما وصفه سبحانه في سورة النور قطعاً لبواطل أعذار المبطلين وصدعاً
بقواطع شبه المعطلين وفي ذلك يقول سبحانه تنبيهاً على ذلك وتعليلاً
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ولهذا قال الحسن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ما أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل
الكتاب وأرسل الرسل ومن الدليل على ذلك قوله عز وجل في كتابه المبين
نحن من يعلم أنه من الكاذبين قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ومن اللطف
ما أمر به رسوله الأمين أن يقول في خطاب المبطلين. وإنا أو إياكم لعلى
هدى أو في ضلال مبين. وقد شحن الله تعالى كتبه الكريمة المطهرة بكثير
من شبه أعدائه الكفرة الفجرة. وأورد شنيع ألفاظهم وصريحها و
منكرها وقبيحها ليرد عليهم مقالتهم ويعلم المؤمنين معاملتهم كما قال
في محكم الآيات قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ولم يمنعه علمه بعنادهم
من الاحتجاج عليهم وإرسال خير كتاب ورسول إليهم بل قال
مستنكراً للإضراب عن إعذارهم أفنضرب عنكم الذكر
صفحاً إن كنتم قوماً مسرفين ومن أعظم ما أنزل الله تعالى في ذلك قوله
تعالى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى. إذ كان هذا إلى فر
عون الذي نص الله تعالى على أنه طغى. وعلى أنه أراه آياته كلها
فكذب وأبى. ومن ثم كان اسمه الأسنى. من أخص أسمائه الحسنى
هذا ما لم يشتد غضبه نعوذ بوجهه الكريم من غضبه ومن مقارنة
موجبه وشبهه ففي مثل تلك الحال. يقول ذو العزة والجلال وليجدوا
فيكم غلظة وفي الحال الأخرى وهي الغالبة قل للذين آمنوا يغفروا للذين
لا يرجون أيام الله وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً. وأن تعفوا
أقرب للتقوى. ويدرؤن بالحسنة السيئة. ادفع بالتي هي أحسن وإذا

وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه. والذين هم عن اللغو معرضون. وقولوا للناس
حسناً ولا دليل على نسخ ذلك وأمثاله مما وردت به السنة النبوية ووصفت
به الأخلاق المصطفوية إلا توهم التعارض ممن خفي عليه حسن اختلاف
الأمرين عند اختلاف الحالين كما نص الإمام المهدي في عقود العقيان في
الناسخ والمنسوخ من القرآن وذلك من مقتضى البلاغة عند علماء البيان تختلف
الحالات وبتفرق المقامات ومن ثم مدح الله تعالى المؤمنين بالعزة والذلة
في آية واحدة وقرن الوعد بالوعيد وأنزل الكتاب والحديد وكان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم نبي المرحمة والملحمة. وقال الله تعالى لا ينهاكم
الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم
وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم
في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم
فأولئك هم الظالمون. ولا شك أن صفة اللطف والرفق والرحمة هي الغالبة
القوية في الكتب السماوية والأحوال النبوية ومن ثم تمدح الله تعالى بأنه
وسع كل شيء رحمة وعلماً. وبأن رحمة الله سبحانه وسعت كل شيء وليس في عده
لأهل الصلاح بكتابتها التي هي بمعنى إيجابها لهم ما ينفي سعتها لغيرهم.
بل هي لهم واجبة ولغيرهم [illegible] ولبيس بين أول الآية وآخرها مناقضة
ولم يرد مثل ذلك في الغضب ولا قريب منه وصح عن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم أنه قال إن الله تعالى كتب كتاباً ووضعه عنده فيه إنها
غلبت رحمتي غضبي وسبقت رحمتي غضبي وقال تعالى فبما رحمة من الله
لنت لهم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسروا ولا تنفروا
وقال في معرض الزجر والذم إن منكم منفرين والأحاديث والآثار في ذلك
لا تحصى وبيان ذلك تمام في ذكر الداعي إلى الترغيب والترهيب في الكلام
على شموله الاجتهاد وتفسيره وهو يسير في آخر الكلام في القدر في تقدير
الشرور وبيان الحكمة والرحمة فيها وهو كثير مستوفى والقصد تنبيه ذوي
الأفهام الذين يغنيهم القليل عن التكثير والتطويل قرن الأشياء بميزان الاعتدال
وجادلهم بالتي هي أحسن كما علم ذو الجلال واعلم أن من لطائف الأنظار
لذوي الأذهان أن الله سبحانه لما وضع الميزان وهو ميزان المقادير على الصحيح
لا ميزان البرهان حرم الخسران فيه والطغيان فقال سبحانه في سورة الرحمن
والسماء رفعها ووضع الميزان. ألا تطغوا في الميزان. وأقيموا الوزن بالقسط
ولا تخسروا الميزان. وإذا كان هذا في ميزان الدراهم والدنانير اللذين هما

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)